مشكلات في حياتنا الأدبية

بقلم : محمد عبد الحليم عبد الله

في حياتنا الادبية حيال فن القصة عدة ظواهر محتاجة الى تفسير هدفه الاول والاخير المحافظة على النتاج القصصي الذي اهدته الى المكتبة العربية ثلاثة أجيال على مدى نصف قرن .

وليس ازدهار القصة العربية في مصر منذ الثلث الثاني من القرن العشرين الا ثمرة طبيعية لاكتمال التزاوج بين الثقافة العربية والثقافات الاخرى ، فالكاتب العربي يفتش عما يقوله قبل أن يشرع في الكتابة والبيان العربي — الذي كان قديما مهتما بالصورة — أصبح مهتما بالمشكلة والصورة في وقت واحد . وسلب الفن القصصي من الشعر بعض خصوصياته وبعض سحره ومعظم قرائه .

ثم ان انتشار فن من الفنون يعني انتشار الاهتمام بهذا الفن والتحدث في مشكلاته وتعدد الآراء حول المشكلات ... ثم وقوع حوادث تصادم نتيجة الزحام ورغبة السبق التي تولد مع كل نفس .. وهذا هو موقف فن القصة .

اما تلك الظواهر التي تبرز اليوم في حياتنا الادبية فاجملها فيما يلي :

الظاهرة الاولى : الشكوى من عدم اتاحة الفرصة على الرغم من كثرة وسائل النشر والاعلام .

ويمكن تعليل هذه الظاهرة تعليلا علميا بزيادة عددنا الذي استتبع زيادة عدد المتعلمين فينا ثم زيادة عدد الموهوبين او أصحاب الطموح الذي تسانده الموهبة أو الوهم والغرور والفرص دائما أقل من طلاب الفرص . وحتى لو فرضنا ان

عدد الفرص مساو مع عدد طلابها فانه من المحال ان تتاح الفرصة لكل من يستحقها لوجود الانتهازيين فى كل زمان ومكان . وهذه المقدمة تعطى نتيجة مؤكدة هى أن وسائل النشر والاعلام مهما تكن كثيرة فانها لن تكفى كل اصحاب المواهب حتى الحقيقيين منهم لان من اهم قوانين النشر والاعلام التعامل مع المشهورين . فتتحكم فى الموقف من جديد قاعدة ان الفرص أقل عددا من طلاب الفرص فينشأ التزاحم والتصارع والشكوى .. وحوادث التصادم .

لكن .. من المؤكد ان من بين الذين يرفعون اصواتهم بالشكوى مواهب لو اتيحت لها الفرصة تلو الفرصة لاثرت حياتنا القصصية . وانا لاأشك فى ذلك .

لكنى احسست ان شكوى الشاكين من اصحاب المواهب تستغل صحفيا أكثر مما تبحث عن حب وعقيدة . واصبح النشر مرة واحدة لكاتب موهوب ثم التوقف بعد ذلك مما سبب عذابا أقسى من عذاب الحرمان .

وليس بين وسائل الاعلام ماهو أقوى على خلق الكاتب الثابت من الصحيفه او المجله لان الكلمة المكتوبة (وان كانت بطيئة الانتشار) تسعى بنفسها وبقدره ذاتية البيئات الحقيقية التى تعيش فيها عمرا طويلا وهذا سر خلودالكتابة والكتاب .

وطبيعى جدا ان يقوم بناء مجلة «القصة» على اقلام المشهورين لانها بغير ذلك لن تستطيع خدمة كاتب غيرمشهور لكن الذى ارجو ان تعمله مجلة القصة ازاء أصحاب المواهب هو أن تتبنى طائفة منهم فتقدم انتاجهم القصصى وتنوه به لكى تسد فراغا احس بوجوده . ناشيء من ان كاتب القصة فى أول عمره يعانى من احد امور ثلاثة : فاما ان يترك لقدره كشجرة وحيدة على قارعة الطريق قد تدوسها الاقدام وقد تصبح دوحة ظليلة . واما أن يوضع فى يده قلم من الذهب بس الدليل فلايكتب ، واما تنهال عليه السياط فيطوى وينعقد

هذه هى الحالات الثلاث التى تعطل أقلام الكتاب فى اول عهدهم بالكتابة . لكن الحضانة الادبية من اول واجبات كل مجلة ادبية تصدر عندنا واعتقد ان مجلة (القصة) ستفعل ذلك .

الظاهرة الثانية

النسبة العكسية بين رواج قصة ما ورأى الناقد في هذه القصة .

وهذه الظاهرة معناها أن القارئ شديد الارتباط بالكاتب بصرف النظر عن رأى الناقد فيه . وانه قد لا يستجيب لرأى الناقد في كاتب ما فيقبل على قراءته تجاوبا مع رأى الناقد .

وارجو الا يظن النقاد انى أهاجمهم لانى سأزيد الموقف توضيحا .

ان الدائرة الادبية تتكون من هذه الاطراف الاربعة الكاتب ، القصة ، القارىء ، الناقد .

والقصة هى مركز الدائرة التى تلتقى فيها الثلاثة الآخرون .

وقد يحدث أن يكون هناك كاتب ... ولا قصة . فتحمل القضية أن يكون هناك كاتب وقصة بلا قارىء ولا ناقد . فتبقى القضية معلقة وقتا ما . الى أن يكتشف الكاتب والقصة .

أن يكون هناك كاتب وقصة وقارىء بلا ناقد . وهنا يجب التساؤل . كيف استطاع هذا الكاتب ان يخاطب هذا العدد من القراء حتى تعلقوا به ؟ وتختلف الاجابة عن هذا السؤال من فرد لفرد . من القارىء والكاتب والناقد . نعم تختلف وقد تحتدم . لكن الذى لا جدال فيه هو أن الدائرة الادبية تتم بوجود الكاتب والقصة والقارىء ، وان غاب الناقد . أما الوجه الاخير للمسألة وهو وجود الاطراف الاربعة فى اتساق وتفاهم وحرص على الحياة الادبية الرفيعة ... هذا الوجه يمكن تصوره ذهنيا ويمكن وقوعه على صورة ما ثم انتشاره حتى يصبح تقليدا . وذلك فى الوقت الذى ستفرق فيه بين الجدل الفنى والجدل الشخصى والعلاقة الاخوية والقيمة الفنية والذى نعتقد فيه أن الكاتب الجاد قد يحلق وقد يسقط وأن الناقد الجاد قد يهتز الميزان فى يده بغير قصد لانه انسان بكل نوازعه وأعصابه . ثم النظرة الى العمل القصصى نظرة موضوعية شاملة وتعرضها المسئولية الكاملة ... عندما يتم ذلك على صورة ما

ستكون النسبة (طردية لاعكسية) بين رواج القصة ورأى الناقد فيها .

ولعل محاولة القصة فيما سننشره من نقد ـ تفتح الباب لهذه العلاقة الطبية .

الظاهرة الثالثة :

دعوى أن هناك جيلا بلا أساتذة .

وهذه الدعوى رفعها بعض الشبان ضد مجهولين أمام محكمة الرأى العام الادبية . واشتبك فى الخصومة حولها عدد من الشخصيات المعروفة وغير المعروفة .

وأنا هنا لا أريد أن افصل فى هذه الدعوى ولكنى اريد أن أناقشها كظاهرة . وربما أدى نقاشها الى نوع من الحكم . ربما ..

بيننا الآن خمسة اجيال من الكتاب

جيل السبعين من العمر . جيل الستين . جيل الخمسين أو حولها . جيل الاربعين او حولها . ثم جيل الثلاثين او حولها ..

وجيل السبعين ـ أطال الله بقاءه ـ هو تاريخيا استاذ لهذه الاجيال لانه هو الذى خاض معركة القديم والجديد فى الادب العربى من وجهة الى أخرى .

وجاء جيل الستين فاعتبر الجيل السابق استاذاله بلا جدال ولا حتى مجرد التفكير فى الجدال لان أدباء هذين الجيلين كان لهم صفة الاديب العام الذى يأخذ تطرف من كل نوع أدبى ولم يكن وقت التخصص عندنا قد حان بعد . ثم بدا التخصص واشتهر أمره بظهور تيمور والحكيم . ثم جاء جيل الخمسين أو ما حولها فاستقر عصر التخصص فى العلم والفن والادب . واصبح بيننا شعراء ونقاد وقصصيون وكتاب مسرح ثم امتد هذا للجيل الرابع .

وهنا يمكن أن نسأل . هل يعترف جيل الاربعين بالاستاذية (يعنى بمجرد السبق فى التجربة فقط) لجيل الخمسين ؟ سواء فى الشعر أو القصة أو النقد؟!

وهل يعترف هذا الجيل للجيل الذى سبقه بأنه صاحب فضل فى تمهيد جزء من الطريق ؟!

الجواب . أن هذين الجيلين لم يقر أحدهما هذه

القصية بل ربما شعر أنهما جيل واحد يدينون بالاستادية لمن سبقوهم · وذلك لاختلاف الظروف الاجتماعية والادبية بالنسبة لهم وللجيل الثلاثيني الذي هو صاحب الدعوى ·

ظهر هذا الجيل من كتاب القصة في فترة اصطرعت فيها الايدلوجيات واتخذ النقد الادبي مقعده من منصة الحكم وانتشرت وسائل الاعلام بكل اغرائها ومتعتها ومكاسبها · وأصبحت فرصة الشهرة أكثر توفرا وبالتالي كثر المتطلعون اليها · وبدأوا هم يكتبون ·

في جو مشحون الى حد بعيد بالرغبة والخوف والارشادات والقواعد فلم يجدوا نفسهم أحرارا مع عوالمهم الخاصة وتجاربهم التي لم يعشها أحد سواهم ·

وقعوا في مفترق الطرق يكتبون وأمام أعينهم «أسهم» تشير الى اتجاهات متضادة بعضها يحقق الشهرة سريعا وبعضها يتفق مع ميول الكاتب نفسه وبعضها يتفق مع الارشادات وبعضها مطلوب لوسائل الاعلام · · دوامة لا يستطيع الكبير من شبابنا أن يبتعد عن مركزها لانه ان فعل عاش في وحشة وان رمى بنفسه فيها عاش في دوار · فأي الطريقين يختار ؟!

ولعل الدعوى بأنهم جيل بلا أساتذة ترجمة لكلمة القلق الذي يصاحب الاديب في كل اطوار حياته حتى ولو ولد وعاش حتى مات في مجتمع مستقر القيم · فما بالنا بمجتمع يحول اتجاهاته أو يرسي قيما جديدة على أرض جديدة ·

انهم سيجدون أساتذتهم يوم يجدون نفسهم وسيجدون نفسهم يوم يخفت في صدورهم صوت القلق فيستمعون الى صوت القلب وكل ذلك محتاج لجو من الأمان والضمان والهدوء النسبي عسى أن يتوفر لهم ·

الظاهرة الرابعة : المدارس الادبية :

والمدارس الادبية لها مغرى أكبر وأكثر خدمة للحركة الادبية من الحرب الباردة · ولها وظيفة في حياتنا الادبية والفنية عن العزل أو اتخاذ الموقف المضاد بصورة مطردة لاتتخلف · ولكل فعل رد فعل · ومستقبل حياتنا الادبية في حرات بين الفعل ورد الفعل آلى أن نؤمن جميعا بانه من المحال بأن يكون للناس جيل واحد

ومذهب واحد ومدرسة واحدة ودون رأى واحد وان اختلاف في الرأى شيء والعمل الادبي لمن نختلف معه في الرأى شيء والعمل الادبي لمن نختلف معه في الرأى شيء آخر من حيث هو عمل أدبي أولا وقبل كل شيء .

ومجلة القصة مجلة كل المدارس الادبية . ومن المأمول ان تكون سجلا ناميا متحركا للانتاج الفني والرأى الحر . ومن المأمول أن يقرأها القراء فلا يحسبون مقدما ما سيقوله كاتب فيها وأن نقدم باستمرار أقلاما جديدة وآراء جديدة .

واذا كانت المجلات الادبية ذات مهمة قيادية (ويجب ذلك) فان مهمتها ينبغي أن تكون نحو الادب الرفيع والاماني القومية والانسانية وتحت هذا اللواء تكتب الاقلام من كل مدرسة أدبية بحب وبصيرة ودربة ووفاق .

ولقد اصبحت الصحافة ملك الشعب أيقن كل كاتب (ويجب أن يوقن) أن كل صحيفة ومجلة منه وله تماما مثل أرض هذا الوطن الذي قلته أجدادنا ثم تركوه ملكا لنا لنتركه نحن بالتالي ملكا لاولادنا .

والعظيم فينا هو الذي يترك آثار أعماله البيضاء على مرافقه الطبيعية أو العلمية أو الثقافية . ثم يفتح التاريخ سجل البشرية ليقدم حساب جيل بين يدى جيل .

ورحم الله من قال :

« ما أروع الخلق .. ما أروع أن تخلق طفلا أو كتابا أو رغيفا ... ان لذة الخلق هي اللذة التي لا تعقب ألما ... أبدا .. » .

محمد عبد الحليم عبد الله